الدكتور خليل اسماعيل محمد
كلية الآداب

في محافظة السليمانية

لقد باتت ظاهرة الانتقال من حياة الترحل الى حياة الاستقرار تشغل اذهان الباحثين وتثير اهتماماتهم ، لا سيما وان الفترات التي كانت فيها القبائل المتنقلة هي المسيطرة ، تلتها فترات اتسع خلالها حجم المستقرين من السكان ، خاصة بعد ظهور الحكومات المركزية القوية ، وتعاظم عوامل الاستقرار(1) .

وكان لتثبيت الحدود العراقية مع الاقطار المجاورة خلال العقد الثاني من هذا القرن دور هام في الحد من حركة الرعاة في البلاد ، الامر الذي اضطرهم الى التقليل من عدد حيواناتهم بعد ان حددت المراعي ، كما اضطر عدد كبير منهم ، البحث عن وسائل اخرى للمعيشة . وربما كان ايضا لتوفر الارض والمياه في محافظة السليمانية ، قد شجع السكان للتحول الى الزراعة ، ومن ثم فقد ساهم في عملية الاستقرار . ولعل ما كانت تسببه حركة الرعاة من متاعب ومنازعات قد دفعت البعض منهم الى الاستقرار كلما توفرت الفرصة لذلك . لا سيما بعد ان اتسعت رقعة الارض الزراعية ، وباتت تشكل صعوبات امام حركة الرعاة ، اضافة الى ما اتسمت به الزراعة من قوة جذب لهؤلاء في مزاولتها(2) . ومعلوم انه حيثما ارتبط العشائري بأرضه تضاءل ولاؤه للعشيرة ، وغلبت عليه مصالحه في الارض(3) . وقد برز مثل هذا التحول نحو الاستقرار في القرى والارياف بعد الحرب العالمية الاولى واضحة .

ومن جهة اخرى ، فان قوانين التسوية والتشريعات الزراعية كان لها دور في رسم نمط الاستيطان الريفي . ففي عام 1932 تم الاعلان عن قانون رقم (50) لتسوية حقوق الاراضي ، وتعديله بقانون رقم (29) لسنة 1938 ، وقانون اصلاح واستثمار الاراضي الاميرية لسنة 1951(4) . وضمن الفترة التالية لعام 1958 ، تم الاعلان عن قيام مجموعة تشريعات وقوانين زراعية ذات علاقه بالاستيطان الريفي ، وذلك من خلال اعادة توزيع الارض وتحديد الملكية الزراعية ابرزها : قانون رقم 30 لسنة 1958 وتعديلاته في عام 1969 ، وقانون رقم 117 لسنة 1970 ، وقانون رقم 90 لسنة 1975 ، حيث تم تغير نظام الملكية وتوزيع الاراضي اللازمة والاميرية الصرفة . وكان ذلك قمينا بدفع القبائل الى الاستيطان.

وعليه فان ثمة مستوطنات جديدة بدأت تظهر حول المستوطنات القديمة في اطار برامج التوطين في الاراضي المنزوعة الملكية ، والتي وجدت نتيجة الاصلاحات الزراعية ، وانظوت المشاريع الزراعية والاقليمية على برامج للاسكان الريفي .. فيما اختفت غيرها من المستوطنات .. وبينما زاد حجم بعض منها صغر حجم البعض الآخر . فقيام مشروع اروائي او شق جدول او قناة وظهور ثروة ما ، او قيام طرق للنقل، والتخطيط لمجمعات سكنية ، وسياسة الدولة في هذا الاتجاه او ذاك .. من شأنه قيام مراكز استيطانية جديدة او التوسع في القديم منها ، وقد يتسبب في اختفاء او ضمور غيرها من المستوطنات ، لاحظ جدول (1) .

جدول رقم (1)

التغير السنوي للمستوطنات الريفية في العراق ومحافظة السليمانية

الفترة	محافظة السليمانية	العراق
1957 – 1947	4ر3	3ر4
1965 – 1957	-1ر0	1ر5
1970 – 1965	1ر0	1ر6
1977 – 1970	4ر0	-3ر0

المصدر : خليل اسماعيل محمد ، انماط الاستيطان الريفي في العراق ، ص 41

ويشير الجدول اعلاه الى ان نسب التغير في عدد المستوطنات الريفية قليلة في محافظة السليمانية ، كما انها اكثر توازنا واقل تفاوتا في التغير .. ويعزى ذلك الى الواقع الطبيعي والبشري ، المتمثل في الامكانات المحدودة للتوسع الزراعي ، نظرا لاعتماد اقتصادها على محصول واحد . وكذلك طريقة الارواء القائمة على المطر .. الى جانب تضرس الارض ووعورتها ، اللذان يحولان دون التوسع في العمليات الانتاجية بشكل افقي . كما ويجعلان من الصعوبة استخدام المكائن والآلات الزراعية بنطاق واسع . ويذكر ان ما يقرب من ثلثي الاراضي القابلة للزراعة والتي كان قد تم استثمارها في الانتاج يعتمد 70٪ منها على الامطار . وتتولى العيون والجداول والانهار سقي ما تبقى منها(5) . لذلك فان الزيادة الحقيقية في عدد المستوطنات الريفية لم تتجاوز 1٪ سنويا خلال الفترة (1947 – 1977)(6) .

انماط التوزيع الجغرافي للمستوطنات الريفية في المحافظة

تعتبر دراسة التوزيع المكاني للمستوطنات اساسا في الوصول الى معرفة الانماط التوزيعية للاستيطان . وكما تختلف المستوطنات الريفية في احجامها تختلف ايضا في صور انتشارها وتوزيعها . فمن القرى ماتتخذ في توزيعها اشكالا هندسية منتظمة، ومنها ما تتبعثر بغير انتظام . وبينما يتخذ بعضها شكل تجمعات مركزية ، يتوزع بعض آخر على امتداد الطرق او الانهار .

ومعروف ان ثمة علاقة بين صور مثل هذا التوزيع في المستوطنات وعوامل توقيعها . فالاختلاف في البيئة الطبيعية (من سطح ومناخ ونبات ومياه ..) من شأنه ان يؤدي الى خلق قيم مكانية متفاوتة يتولى الانسان مهمة اختيار الانسب منها لغرض استيطانه ومزاولة نشاطه الاقتصادي وقد اكد هاكيت Petter Hagget على ان للموارد الطبيعية دورا مهما في تحديد نمط الاستيطان . فمن القرى ما تتخذ امتدادا طوليا مع مجرى الانهار او الطرق ، ومنها ما تتوزع بشكل متجانس تبعا لانتشار الموارد الاقتصادية او ربما تتجمع في مركز واحد طالما يقتصر المورد على بئر ما او موضع حماية .. الامر الذي ينتج عنه نمطا متجمعا(7) .

وفي المنطقة الجبلية من كردستان العراق ، وحيث تتضرس الارض وتكثر الامطار ، يتخذ الاستيطان الريفي نمط الانتشار عموما . وربما ساعد على ذلك كون قطع الارض الزراعية في الجبال متفرقة . فيما تتميز بكونها متصلة في الاراضي المنبسطة . لذلك تصل القرى ذروتها في التكتل حيث السهول والاراضي المنبسطة.

وتضم محافظة السليمانية (1853) قرية تتوزع بكثافات بلغت في معدلها (11٪) ، اي ان ما يصيب الكيلو متر المربع الواحد (11) قرية(8) ، وقد تحركت هذه الكثافة بين (7–21)٪ قرية/كم2

( )

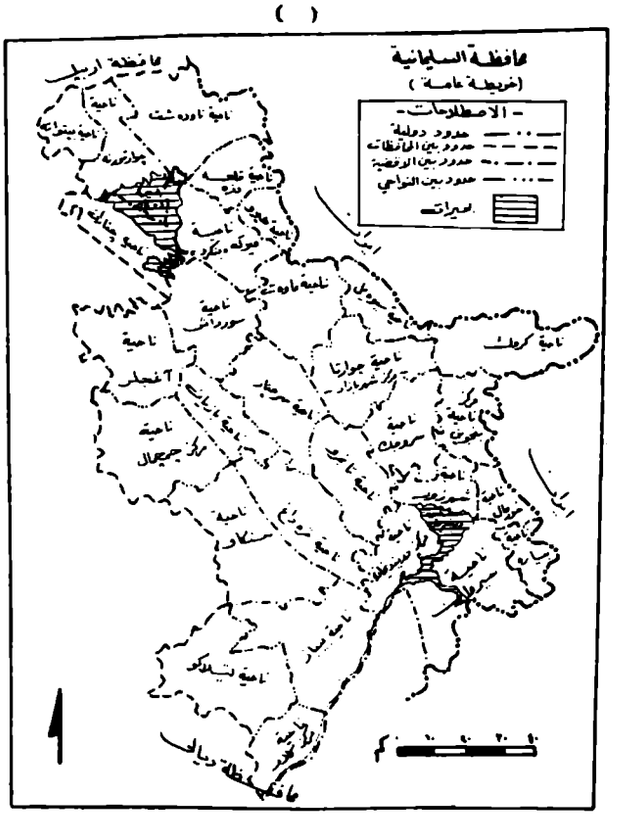

بين الوحدات الادارية للمحافظة لاحظ جدول (2) .

وفي ضوء الجدول المذكور ، يمكن ان نميز الكثافات التالية:

1 – كثافة عالية نسبيا : وتتمثل في مركز قضاء بشدر ، وفيه بلغت الكثافة 21٪ ، فيما كان معدل حجم القرية (171) نسمة للقرية الواحدة تقريبا .

2 – كثافة معتدلة : وتراوحت بين (20–10)٪ قرية/كم2، وتمثلت في نواحي : سيوەيل ، خورمال ، هيرو ، شهرزور ، بازيان ، ماوەت ، مركز قضاء بنجوين ، تانجرو ، جوارقورنه ، سرجنار ، سيروان ، سورداش ، قرەداغ ، كرمك ، مركز قضاء شهربازار ، سروجك ، ناوەشت ، دربنديخان، اغجلر، سنكاو، وتيلاكو . وقد بلغ معدل حجم القرية ضمن هذه الكثافة (184) نسمة .

3 – كثافة منخفضة : وتمثلت في نواحي : ميركه ، بيتواته، حنارن ، بياره ، بيباز ، مركز قضاء جمجمال ، ومركز قضاء كلار ، فيما بلغ معدل حجم القرية (269) نسمة .

جدول رقم (2)

الكثافة المكانية للمستوطنات الريفية في

محافظة السليمانية بحسب الوحدة الادارية

لعـــام 1977

الوحدة	قرية/كم2	الوحدة	قرية/كم2
	%		%
ناحية تانجرو	13	ناحية هيرو	16
ناحية قره‌داغ	12	ناحية ناوده‌شت	11
ناحية بازيان	15	ناحية چوارقورنه	13
ناحية سرچنار	13	ناحية سورداش	12
ناحية سيروان	13	ناحية ميركه	9
ناحية خورمال	17	ناحية بيتواته	9
ناحية بياره	8	ناحية چناران	9
ناحية شهرزور	16	مركز ناحية دربنديخان	10
مركز ناحية بنجوين	14	مركز ناحية چمچمال	7
ناحية كرمك	11	ناحية سنكاو	10
مركز ناحية شهربازار	12	ناحية اغجلر	10
ناحية سيوه‌يل	19	مركز ناحية كلار	7
ناحية ماوه‌ت	13	ناحية بيباز	8
ناحية سروجك	11	ناحية تيلاكو	10
ناحية قلعه دزه	21	المحافظة	11

المصدر : نتائج التعداد العام للسكان لسنة 1977

ويستخدم معامل التشتت أيضا(9) ، للكشف عن انماط وصور توزيع المستوطنات الريفية . وقد ظهـــر في ضوءه ، ان المعامل المذكور يتراوح بين (11ـ9) درجة ، ممـــا يعكس نمط الانتشار للمستوطنات الريفية(10). وذلك لانه وحتى في الوحدات التي اشار فيها المعامل بالتركز النسبي في التوزيع ، فانه كـان لا يقل عن (10) درجة . ففي ناحية بياره بلـغ معامل التشتت (11) . وفي مركز قضاء كلار (12) ، فيما كان المعامل في ناحيتي بيتواته وهيرو (26)و (27) على التوالي . وتحرك في نواحي مركز قضاء جمجمال ودربنديخان ، ومركز قضاء بنجوين . وفي ناحية جناران بين (31 ــ 38) درجة . انظر جدول (3) .

جـدول رقم (3)

المستوطنات الريفية في محافظة السليمانية بحسب الوحدة الادارية ومعامل التشتت ومعدل حجم القرية

الوحدة	معامل التشتت	معدل حجم القريـة
ناحيـة تانجرو	68ر8	181ر4
ناحية بازيـان	53ر3	219ر3
ناحية قره‌داغ	72ر0	153ر2
ناحية سرچنار	55ر1	173ر3
ناحية شهرزور	40ر0	217ر8
ناحية خورمال	33ر7	249ر5
ناحية سيروان	89ر8	191ر8
ناحية كرمك	73ر8	171ر7
مركز ناحية بنجوين	34ر0	208ر3
مركز ناحية شهربازار	73ر0	157ر7
ناحية سيوه‌يل	67ر3	153ر7
ناحية ماوه‌ت	68ر2	188ر8
ناحية بنكرد	50ر8	286ر7
مركز ناحية بشدر	69ر0	170ر7
ناحية سروجك	53ر5	172ر8
ناحية ناوده‌شت	73ر5	140ر3
ناحية سورداش	76ر3	226ر2
ناحية چناران	33ر1	173ر4
مركز ناحية دربنديخان	32ر7	222ر7
ناحية چوارقورنه	44ر2	127ر4
مركز ناحية چمچمال	30ر5	182ر8
ناحية اغجلر	61ر6	208ر4
ناحية سنكاو	74ر8	108ر3
ناحية بيباز	62ر7	146ر0
ناحية تيلاكو	—	93ر6
ناحية هيرو	26ر5	189ر5
ناحية بيـاره	10ر8	411ر5
ناحية بيتواته	26ر2	292ر0
مركز ناحية كلار	12ر0	387ر1
المحافظة	992	194ر4

المصدر : احصاءات السكان لعام 1977

العوامل المؤثرة في توزيع المستوطنات الريفية

ويمكن ان نعزو هذا النمط من التوزيع لقوى محافظـــة السليمانية الى جملة عوامل طبيعية واخرى بشرية ، ولا سيما : كمية المياه ، سواء من حيث كمية الامطار الساقطة والتي لا تقل في معدلها عن (400) ملم سنويا ، او المياه الجوفية ، والتي تنتشر

في معظم جهات المحافظة بصور : عيون ، او ينابيع ، او ابـــار وكهاريز .. وتقوم عليها اكثر من 90٪ من مجموع قرى المحافظة. انظر جدول (4) هذا .

جـدول (4)

المستوطنات الريفية في محافظة السليمانية

بحسب المورد المائي

نوع المورد المائي	٪ من مجموع القرى
العيون	84ر0
الانهار والجداول	9ر0
الآبـار	3ر7
الكهاريز	3ر3
المجموع	100ر0

المصادر : تقارير منظمة الصحة الدولية ونتائج احصـــاء السكان لعام 1977 .

هذا فضلا عن الوضع الطبوغرافي للمحافظة ، والمتمثـــل بكثرة الجبال والاراضي المضرسة ، والذي تسبب في تقطيـــع المساحات الزراعية وانتشارها على رقعة واسعة مما حال دون قيام مراكز استيطانية كبيرة . لذلك فان حجم المراكز الريفيـة كان يتراوح بين 94ـ412 نسمة كمعدل للقرية الواحدة . الامر الذي يشير ليس الى صغر حجم المستوطنة فحسب ، بل والى نوع من التوازن في احجامها ايضا .

ويعكس هذا النمط ، طبيعية التوزيع الجغرافي للموارد المائية التي تقوم عليها المستوطنات الريفية من جهة ، والوضع الطبوغرافي السائد من جهة اخرى . ومعلوم ان قلة الموارد المائية السطحية ، مع جفاف المناخ صيفا في المحافظة ، دفع السكان الى استثمار مياه العيون والينابيع والآبار والكهاريز المنتشرة بغير انتظام ، واتخاذ مواضع عند او بالقرب منها . ولعل اكثر النواحي اعتمادا على مثل هذه الموارد مركز قضاء شهربازار ، ونواحي : ماوەت، چناران ، وقرەداغ(11) .

ومن ابرز سمات هذا النمط من التوزيع :

1 ـ ارتفاع نسب المستوطنات صغيرة الحجم (اقل من 500) نسمة حيث بلغت اكثر من 93٪ من مجموعها الكلي .

2 ـ لم تتجاوز المستوطنات كبيرة الحجم (اكثر من 1000) نسمة ، نسبة 1٪ كثيرا .

3 ـ تراوحت معدلات سكان المستوطنات الريفية في النواحي التي اتسمت بهذا النمط من التوزيع بين 94 ـ 286 نسمة للقرية الواحدة .

ومن جهة اخرى ، فان ثمة نمطا متجمعا يمكن ملاحظتـه في نواحي بياره ، وهيرو ، وبيتواته ، ومركز قضـاء كلار ، حيث مناطق الصعوبة او الجهات النائية والتي اســـتقطبت السكان لا سيما في الفترات التي تفتقر الى الاستقرار ، جواء في السهول الجبلية او على سفوح المرتفعات معتمدين في استثمارها للارض على الامطار والمياه الجوفية . وقد بلغت معدلات حجم السكان في المستوطنات الريفية الممثلة لهذا النمط نحو (412) نسمة للقرية الواحدة في ناحية بياره و (387) نسمة في مركز قضاء كلار ، وبلغ المعدل (292) نسمة في ناحية بيتواته ، وذلك بزيادة تبلـغ نسبتها (112٪)و (100٪) و (50٪) على التوالي بالقيـاس الى المعدل العام للمحافظة .

الهوامش :

1 ـ د. ار . لوس ، العراق انماط سكنية متغيرة ، جامعـــة البصرة ، 1978 ، ص 18.

2 ـ خصباك شاكر ، بدو العرب ورعاة الاكراد ، دراسة مقارنة، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مجلد6، بغداد 1970، ص 103 .

3 ـ حسن ، محمد سلمان ؛ التطور الاقتصادي في العراق ، بيروت ، 1965 ، ص 440 .

4 ـ الشيباني ، طلعت . واقع الملكية الزراعية في العـــراق ، بغداد ، 1958 ، ص 44 .

5 ـ وزارة التخطيط ، نتـــائج الاحصاء الزراعي الحيواني ، بغداد ، 1961 ، ص 92 .

6 ـ باستثناء الوحدات الادارية التي تمت اضافتها الى المحافظة المذكورة خلال نفس الفترة . ويذكر ان عدد القرى التي اضيفت بلغت (598) قرية ، منها (175) قرية في قضـــاء كلار و (224) قرية في قضاء چمچمال و (169) في قضاء رانية .

7 - P.Hagget, Locational Analysis in Human Geography, 1968, p. 95.

8 ـ كثافة الاستيطان الريفي : $\frac{\text{عدد القرى في اية وحدة}}{\text{مساحة تلك الوحدة}} \times 100$

9 ـ معامل التشتت يمثل النسبة بين عدد سكان القرى في اية وحدة الى مجموعها الكلي مضروبا في عدد القرى انظر :
J. I. Clark; population Geography, oxford, 1973, p 63.

10ـ محمد ، خليل اسماعيل ، انماط الاســتيطان الريفي في العراق ، مطبعة الحوادث ، 1982 ، ص 96 .

11ـ المصدر نفسه ، ص 101 .